الأمثال في الدارمي

محمد علي محيي الدين

الأمثال من فنون الأدب المعروفة، وقد قام بدراسة الأمثال الشعبية الكثير من الباحثين، وأولوها الإهتمام المطلوب، ولعل خير من كتب عن الأمثال الشعبية الأستاذ الفاضل عبد الرحمن التكريتي الذي أغنى المكتبة الشعبية بمؤلفاته القيمة، وموسوعته الكبرى (الأمثال الشعبية المقارنة) خير دليل على طول باعه، وهي تاج أعماله في مجال الأمثال، ثم تلاها بمؤلفه القيم (جمهرة الأمثال البغدادية). ومن السباقين للكتابة عن الأمثال من المعاصرين المرحوم (عبد اللطيف ثنيان) والمرحوم العلامة اللغوي الأب (أنستاس ماري الكرملي) وأستاذنا الشيخ (جلال الحنفي) والأستاذ الدليشي وغيرهم.

وكان للامثال تأثيرها الفاعل في الوجدان الشعبي، وأثرها المتميز في آدابه الأخرى، وقد أستفاد الشعراء من الأمثال وضمنوها في أشعارهم، والدارس لديوان أمير الشعر الشعبي وفارسه العملاق المرحوم الحاج زاير الدويج يلاحظ كثرة الأمثال الواردة في قصائده وموالاته، وقد أضفت الأمثال على أشعاره روعة، وزادتها سمواً في المعاني.

وعند دراستي للدارمي وجدت أن قائليه قد أخذوا من الأمثال وأعطوا لها، ولعل قسماً من الأمثال كانت في أصولها من الشعر فتداولها الناس وأصبحت مثلاً، ولا يمكننا الجزم بمن هو الأصل، ولكن من الثابت أن الأمثال أقدم من الدارمي نشوءاً ووجوداً، والملاحظة الجديرة بالأهتمام أن أصول الكثير من الامثال هي أنصاف أبيات من الشعر أقتطعت وأصبحت أمثالاً قائمةً بذاتها وشاعت على السنة الناس، والدارس لمسيرة المثل وتطوره يلمس ذلك بشكل واضح.

وليس من المهم أثبات من السابق أو اللاحق، ولكني حاولت أثبات مدى أستفادة هذين الفنين من بعضهما، لأنهما تعبير حي عن الواقع الذي يعيشه الإنسان. وقد أخذ الدارمي من الأمثال العربية وأستفاد منها في توليد المعاني وأغنائها وبذلك أستطاع تقريبها الى أذهان العامة،فأخذت مكانها في الرواية والأسشهاد.

وقد يظن البعض أن المخيلة الشعبية أستطاعت توليد هذا المعنى وصياغته دون معرفة بجذور العربية الفصيحة، ولعل ذلك من توارد الخواطر، والوحدة الموضوعية بين الأجيال المختلفة. ولا أستبعد هذا الرأي ذلك أن الصورة الواردة في هذه الأمثال من الصور اليومية التي يشاهدها الإنسان في كل زمان ومكان، ولا وجه للتأويل بالأستفادة من الأمثال العربية.

ولعل المثل العربي (والطير يرقص مذبوحاً من الألم)وهو مصراع بيت أيضاً من أقرب الأدلة على توارد الخواطر، ذلك أن رؤية الطير الذبيح من الأمور اليومية البديهية التي لاتحتاج الى أعمال فكر وأجهاد قريحة، فالكل منا شاهد ذلك عشرات المرات، لذلك ليس صعباً على الشاعر الشعبي أن يقول :-

شوف أشتكول الناس ومن عادة المذبوح — مطرب للوداع يرفس عله االكاع

((أبن الحايج أينبب))

كالو حبيبك هاذ والجده حايج جان — بحبه يجذب لازم ينبب

((الينبح كرصة... والساكت كرصتين))

ينطي لناس وناس للنايم رغيفين — جسم الله بالكيف ولليحرس رغيف

((الدنية درج شي أعله من شي))

مثل الدرج دنياك والبل ظلام يعيش — شي أعله من شي بالشمس يعشي

((أليدري يدري والمايدري كضبة عدس))

أبدن محطلك نار والما دراش ايلوم — ظل حب يجدري واليدري يدري

((اللبن ميصير مي)

حسبالي للتسعين تالي عله كسرة عود — تتناني يهواي صار اللبن ماي

((كلمن وذاته))

أحا تعبنه الراح وصح المثل لو كال — آخ الشماته كلمن وذاته

((لا تطلب الحاجات ألا من أهلها))

خل روحك بعز دوم ولا تطلب الحاجات — بالك تذلها أله من أهلها

((بكل عزه تلطم))

كل ماتم الطم بيه ومجلبه للنسوان — صرت أني شمه أبجن يعمه

((باب التجيك منه الريح سده وأستريح))

الدهر لو وازاك باب التجيك الريح — جزاها حدها من عنده سدها

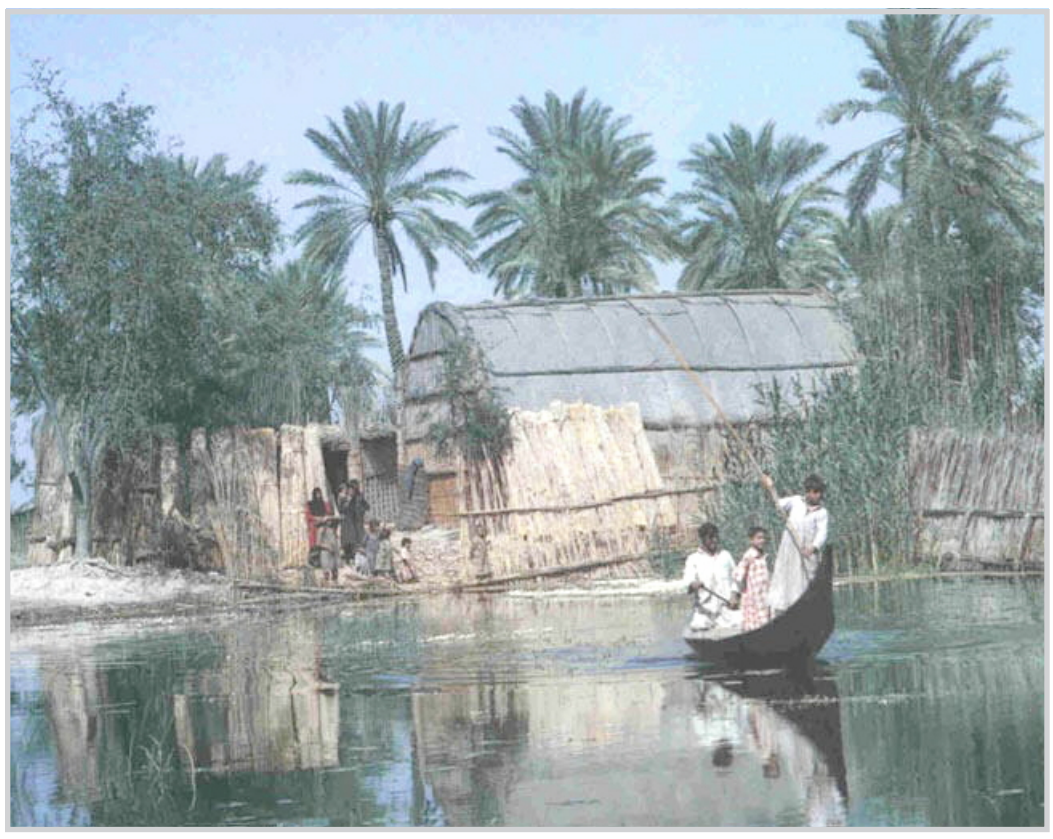

حليف الشيطان

خمسة قرون على فاوست: في الأدب والموسيقى والمسرح

باول. هانتس كوسترز
ترجمة: قاسم مطر التميمي

هاينرش أو كما هو أسمه الحقيقي: يوهان جورج فاوست (مأخوذ عن اللاتينية فاوستوس = السعيد) ولد سنة ١٤٨٠م في (كنتلينغن) وتنقل في أرجاء البلاد في بداية عصر الإصلاح باعتباره ساحراً. وكانت مسارح نشاطاته المواسم والخمارات. فكان يتباهى هناك ويفتخر بأن كل حكمة هذا العالم موجودة في رأسه وإنه يستطيع أن يأتي بكل المعجزات التي جاء بها السيد المسيح.

المشعوذ

رجال الدين اعتبروه أنساناً مشعوذاً. غير أن الشعب الذي لم يكن متمسكاً بالعقيدة المسيحية آنذاك وقف الى جانبه وأصاخ السمع الى مقولاته. حتى القساوسة والمعلمون في المدارس كانوا يصابون بحالات من الإغماء عندما ينادي محضر الأرواح المحنك: "يا للشيطان أخرج!".

توفي (فاوست) على ما يعتقد سنة ١٥٤٠م في شتاوفن (برايزغاو). ومنذ ذلك الوقت وشبحه يجوب البلاد ؛ ساحراً وأستاذاً. طبيباً وقاتلاً، حليفاً للشيطان وعاشقاً سافلاً، وباحثاً لا يكف عن الحركة ورمزاً للعمق الألماني من خلال الأدب.

قصائد وكتب ومسرحيات

نشرت قصائد عن (فاوست) في أكثر من عشرين لغة. وأكثر من عشرين ألف كتاب تناولت حياة هذا الرجل، استقت مضامينها من أفواه الشعب. يقول توماس مان: "عن أعماله الشريرة تحدثت مسارح العرائس والروايات والمسرحيات. ومن ضمنهم شاعرنا الكبير غوته في كتابه (فاوست)".

المادة الخام لفاوست صنعت منها مسرحيات غنائية "أوبرا" (كالتي عرضها شاولز جونود سنة ١٨٥٩م) أو عروض راقصة "باليه" (" ابراكساس " تأليف فيرنر إجك . ١٩٤٨م) وقد استوحى (هكتور برلويتس) موشحة دينية (" هلاك فاوست " . ١٨٤٦م) كما استوحى فرانس ليزست ١٨٥٧م سيمفونية موسيقية. في السينما مثل الكثيرون ومن ضمنهم (جيرارد فيليب) و (ريتشارد بيرتون) (مع اليزابيث تايلور بدور هيلينا) دور الشرير. وفي سنة ١٩٦٠م تمسك جوستاف جروندغنز بإخراج فاوست مع ول جوادفليغ للسينما. والرسامون أيضاً . من رامبرانت وحتى سلفادور دالي . أهتموا بالشهرة الواسعة التي أحرزها أسم هذا المشعوذ.

ظهر فاوست كرجل فعل، كقدوة لإنسانية تحلم ولا تعمل. إنه الإنطواني الكبير الذي ما أراد أن يأكل التراب زمناً طويلاً مثل دودة، والذي حاول أن يرتفع فوق معاناة الحياة. قال، متسائلاً: " لماذا تريد أن تكون انساناً إذا لم تكن تتطلع الى أن تكون إنسانا كاملاً ".

لقد تطلع الى ذلك وأستخدم كل حيل السحرة الكبار. عقد حلفاً حتى مع الشيطان وباع روحه، لأنه كان يريد في كل حين أن يرى جوهر الحقيقة (وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله) وأن يتمتع بكل الملذات وكل مباهج هذا العالم (وهذا ما لا يقدر عليه إلا الأثرياء). كما كتب عنه الفيلسوف ارنست بلوخ: "شخص الاضطراب". دائماً "يستقل القطار الى الكمال"، "الرجل الذي يتخطى الحدود أبداً".

النجاح الباهر الذي حققته مسرحيات وكتب ولوحات فاوست لم تجعل من هذا الساحر التاريخي مشهوراً أبداً. ففي القرن الثامن عشر وجزء من القرن التاسع عشر أيضاً كان قد طواه النسيان. أسطورته الخاصة ابتلعته. حتى غوته الشاعر الشاب المندفع الذي كتب فاوست القديم وأتم الجزء الثاني من المأساة بعد ستين سنة، لم يعلم بأن المشعوذ هذا كان حياً موجوداً في يوم من الأيام. كان يعتقد أنه كائن خرافي وليد الخيال.

لكن الشاعر أعان على استخراج النسخة الأصلية. ففي سنة ١٨٢٩م نشر في (براونشفايغ) الجزء الأول من مأساته -Tra goedieلأول مرة. هذه الواقعة جعلت الألمان طوال عقود في حمى فاوست. خبراء التأريخ والمؤرخون الهواة نقبوا في السجلات والمحفوظات القديمة ووجدوا بعد طول عناء بضعة مقاطع مخطوطة علتها الصفرة المزمنة تؤكد الوجود التاريخي لهذا الساحر.

وعلى أية حال فإن الوثائق لا تقدم الكثير من المعلومات عن آثاره الحياتية. وكان المصلح (فيليب ميلا نختون) رفيق لوثر قد أيد مرارا أن فاوست قد ولد في كنتلنغن. المدينة المجاورة لمدينته (بريتن).

من المحتمل أن يكون أسم أمه (فاوست) عند ولادته و (يوهان جورج) طفل غير شرعي فتسمى بأسم أمه. وأن المرأة كانت تعمل خادمة لدى أسرة ثرية تدعى (جيرلاخ) وأن رب الأسرة قد تودد إليها ولامسها لفرط جمالها. وعلى أية حال فقد حمل (فاوست) الأسم الأول لهذا الرجل. جورج . بينما كان يوحنا شفيعه. و (غوته) الذي يحمل نفس الأسم غير فيما بعد يوهان الى هاينرش، لأن أسم (يوهان) ينادى به على الخدم في زمان الشاعر، فلا يرغب به أحد.

ونحن لا نعلم ما إذا كان لفاوست اخوة أو أخوات وما إذا كان قد ارتاد مدرسة لاتينيّة، وقد قيل فيما بعد أنّه كان " تلميذاً متجولاً " يستجدي الناس. ولا نعلم أيضاً ما إذا كان متزوجاً أو قعيد السجون. ويبدو أن لقب " الدكتور " هو الذي منحه لنفسه. ذلك أن اسمه قد ظهر في سجلات الجامعات آنذاك. وهناك دليل ضعيف فقط يشير الى أنّه تعلم فن السحر في المدرسة العليا في (كراكاو). وبات من المؤكد أنه كان يكسب لقمة عيشه من السحر في حوالي سنة ١٥٠٧م.

وطبقاً للملفات والوثائق فإن فاوست ذو سمعة سيئة. فهذه المصادر تصفه بالخداع والدجل والسحر. وخصوصاً الكاهن والساحر يوهانس ترتيميوس من (شبونهايم) الذي انتقده انتقادات جارحة. فقد وصف فاوست في رسالة له الى أحد أصدقائه بأنّه "متسكع غشاش" وإنّه في جلنهاوزن وأماكن أخرى " ينبوع النكرومانتي " (=Nekromantieالتكهن من خلال استحضار أرواح الموتى) وإنّه المتباهي " بقدراته في الكيمياء ". يقول تريتميوس: " ما لبث أن مارس اللواط مع الفتيان وهرب عندما انجلت الحقيقة. "

ولم تكن شهادات الآخرين مشرفة أيضاً. ففي سنة ١٥٢٨ اتهمته دائرة بلديّة (انغولشتات) بسبب تكهنات غيبية مكتوبة " إنه يبدد نقوده في غير هذا المكان. " وفي سنة ١٥٣٢ لم يسمح للساحر بدخول مدينة نورنبيرغ أبداً. بعد أن رموه بتهمة الفجور.

يتحكم فاوست في صنعة ليس من السهل السيطرة عليها. لقد كان ساحراً لأناس اتسموا بضيق الأفق وأتباع يخشون السحر ولكنّهم أيضاً نوع من القوى المضادة للدولة ولسلطة الكنيسة. الفلاّحون والحرفيّون يتحلقون حول فاوست ليقرأ لهم المستقبل وليتنبأ لهم عن الطقس. ويتقن هذا المشعوذ أفانين أخرى مثل الإيحاء والتنويم المغناطيسي، وبوسعه أن يخفي أشياء ماثلة للعين. وهو بالنسبة الى مشاهديه الرجل الذي يثير الشبهات، إنّه حليف الشيطان.

كان المجتمع يومذاك يعجُّ بالسحرة والنصابين والمشعوذين والأفاقين. كلّ هؤلاء وجدوا لهم بيئةً صالحةً وتربةً خصبةً للازدهار والانتشار في مجتمعٍ جاهلٍ يعتنق الخرافة.

هستيريا الطوفان الجديد

فبعد الخوف من الأشباح جاء الخوف من الكواكب. المنجمون توقعوا أن الأرض ستشهد كوارث مفزعة سنة ١٥٢٤ وسنة ,١٥٢٧ وتنبأوا بحدوث طوفان جديد. وتصاعدت الهستيريا التي عمّت الناس يومذاك جرّاء الاعتقاد بقرب هلاك العالم عندما رأوا سنة ١٥٣١ المذنب هالي. وكموقفها من السحر وقفت الكنيسة الكاثوليكية موقفاً يناقض بعضه بعضاً. فالنجم الساطع ما زال يقود الملوك من بلاد الشرق الى حظيرة الأغنام في بيت لحم. وأخذ رجال الدين يذكرون الناس بذاك الحدث القديم الجديد. واحتدم النقاش حينذاك حول ما إذا كانت النجوم تشير الى حظوظ الناس أم تؤثر فيها.

أما تعاليم لوثر الجديدة فقد زادت من مخاوف الناس ويأسهم. فالمصلح الكبير ألغى الشفاعة من خلال القديسين. وهذا يعني: ليس هناك من أحد . من أمثال العذراء مريم (عليها السلام) . بوسعه أن يشفع لمذنب لدى الله. ومن يقدم على الشيطان (الذنب) يفقد سلام نفسه الى الأبد. وليس أمامه من أمل مهما كان ضئيلاً في الحصول على الرحمة والمغفرة ومستقره النار الأبدية.

في بيئة كهذه يسودها الخوف من الأشباح والأرواح الشريرة، قلما كان فاوست يفاخر علانيةً بكونه حليف جهنّم، مما حدا بدارسي العادات الشعبيّة الى الاعتقاد بأن فكرة " حليف الشيطان " لم تكن قد صدرت عن فاوست وإنّما عن وجدان الناس البسطاء. وقيل أيضاً أن الدعابة لا تجدي الساحر نفعاً، لأن الساحر العليم يهيمن على الأرواح الجهنميّة ويتحايل عليها لا أن يبيعها روحه.

حليف الشيطان

ومع أنّ لوثر نفسه قد زعم أنّ "فاوست حليف الشيطان" إلاّ أنّ هذه الشائعة لم تلحق ضرراً بالمشعوذ على الأرجح. فمن المحقق أنّه لم يضطر يوماً الى أن يرى غرف التعذيب من الداخل. وقد ذكر أحد المؤرخين أنّه وجد مأوى له في (شتاونن). واشتغل هناك بالكيمياء وأدى اشتغاله بها الى موته وهو في الستين من عمره.

ولكنّ أسطورة "حليف الشيطان" لم تمت. فبعد سبع وأربعين سنة من نهايته، أي في سنة ١٥٨٧ ظهر كتاب يحذر العالم برمته: (هستوريا الدكتور يوهان فاوست) .Historia D Johann Fausten.هذا الكتاب الشعبي الذي لا يعرف مؤلفه طبع اثنين وعشرين مرّةً في غضون اثنتي عشرة سنة.

يذكر فيه المؤلف أنّ فاوست قد ارتقى من مشعوذ الى دكتور في علم اللاهوت. هفت نفسه الى البحث في العناصر . الى اختبار المواد. أو كما قال الشاعر غوته فيما بعد ؛ "لقد أدرك كنه العالم" وما لبث فاوست أن عرف أيضاً أنّ أذكى العقول البشريّة عاجزة عن أن تصل الى الحقيقة. لذلك كرس نفسه للشيطان الذي يتراءى له على صورة (ميفوستوفليس) Mephostophiles.

وفي عهدٍ وقعاه بالدم تعهد الروح الجهنمي لفاوست بالطاعة والخضوع لمدة أربع وعشرين سنة، يخدمه بكل ما أوتي من علم ومهارة. وبعد انقضاء هذه المدة فإنّه سيحصل على روح فاوست. وخوفاً من عذاب نار جهنّم أراد الدكتور في السنة السابعة عشرة أن يتحلل من هذا العهد. ولكنّ الشيطان أقنعه بالعدول عن ذلك.

يبدأ الكتاب (بمناقشات علميّة) كثيرة يتحدث فيها ميفوستوفيليس الى فاوست ويطلعه على (جهنم وغرزها) ؛ هناك حرارة لا تطاق وتعم المكان رائحةٌ كريهةٌ مفزعةٌ وكل من فيها مجتمعين في عذاب مقيم . هكذا يمثل الشيطان العذاب واليأس برموز شعريّة.

فاوست يمثل كثيب رمل تناطح قمته السماء. من هذا الجبل يطير كل سنة عصفور يحمل في منقاره حبة رمل واحدة فقط. فإذا أراد الله أن يعد الأشقياء بالمغفرة، قال لهم: ستنقذون إذا ما اختفى هذا الجبل . عندئذ يتحقق لهم الأمل والسرور في محنتهم. غير أن المذنبين في نار جهنم ليس عندهم جبل ولا عصفور، فيمكثون في مكانهم الى الأبد !!

فاوست استنفد لذات الحياة كلها ؛ شرب الخمر حتى ثمل وطلب من الشيطان أن يوفر له فتاة ليقضي الليل معها. يحدث الناس في الحانات وفي الشوارع في الوقت الذي يترك فارساً مهاباً تنمو له قرنان، ويبتلع فلاحاً فوق صهوة جواده أو يرمي فاكهة غريبة في الهواء. ويوقظ الموتى كذلك.. مثل جمال هيلينا بنت زيوس الذي أشعل حرب طروادة. إنها بالنسبة له (أنثى النوم) وكفى !.

موت فاوست

موت فاوست حيّر المؤلف في مدينة لوثر (فيتنبرغ). ففي أحد الفنادق أجتمع حلفاء الشيطان، تلامذته وتحلقوا حوله ليبين لهم أن ميفوستو فيليس (الشيطان) سيأتي ليأخذه. وفي الليل سمع التلاميذ " صفيراً مفزعاً وفحيحاً كما لو أن البيت قد امتلأ بالحيات والأفاعي " وعندما تجرأوا في اليوم التالي على دخول غرفة فاوست وجدوا مخه ملتصقاً بالجدار، وفتشوا عن جسده دون جدوى . لقد مرق من خلال النافذة وسقط في فناء الدار فوق أكوام القمامة.

مشهد الموت هذا يذكرنا بنهاية فاوست التاريخي الكيميائي الذي لقي حتفه فيما يظن من خلال انفجار. وعدا هذا فلا يشترك الاثنان في سمات أخرى إلا في القليل. وصارت المسافة أكبر عندما ظهرت في إنكلترا حوالي سنة ١٥٨٨م ترجمة الهستوريا Historia واستوحى منها (كرستوفر مارلو) -Christo pher Marlowe. وهو أهم كاتب مسرحي بريطاني ظهر قبل شكسبير . استوحى منها كتابة مسرحية فاوست لأول مرة.

إذا ما كان فاوست الأصلي وفاوست الكاتب الشعبي ما زالا في تهورهما وطيشهما متشابهين، فإن فاوست لدى (مارلو) عالم متجهم ضاق بكل العلم واشتغل فقط بإحياء الموتى واستحضار الأرواح. وعقد حلفاً أيضاً مع الشيطان وعشق هيلينا الجميلة. وخلافاً لما ورد في هستوريا Historiaالتي كانت تتولى فيها دور (الضجيعة) فإن بوسع المغنية هذه المرة أن تفرغ كل ما في جعبتها من جاذبية ذهنية. إنها تريد أن تحيد بفاوست عن العقيدة الصحيحة وتستخدم لذلك ليست فتنتها الأنوثية حسب، وإنما أيضاً الحضارة الوثنية الإغريقية القديمة كسلاح.

مسرحية مارلو التراجيدية في فاوست انتهت نهاية سيئة كما في ال (هستوريا) وسرعان ما عرضها الكوميديون الإنكليز على مسارح ألمانيا، حيث أعقبها سيل من المسرحيات وتمثيليات الدمى. وأفضل الأفلام التي وصفت مصير فاوست . المتأخرة أيضاً (ليسينغ) Lessingو (شاميسو) Chamissoو (هاينه) .Heineوبلغت الذروة في هذا المضمار ما كتبه (غوته) عن هذه التراجيديا في جزأين.

حصل الشاعر الكبير في صباه على كتيب رخيص يتحدث عن مغامرات السحرة. وعرف أيضاً أهم خرافات مسرح العرائس. وشعر أنه شبيه بفاوست: " أنا أيضاً خضت في مختلف العلوم وأخذني العُجب والغرور، في وقت مبكر من حياتي. وجرّبت أيضاً كل الأساليب في الحياة وعدت منها دائماً غير راضٍ ومتوجع. " (غوته: الشعر والحقيقة)

غوته الذي ربط مادة . فاوست مع حادثة قاتلة الأطفال سوزانه مارغريتا برانّدت، الحادثة الحقيقية، يرى في أبطاله ناساً وعلماء فقط. فاوست خيرٌ وشرير . جانب الشر فيه يتمثل أولاً وقبل كل شيء بتركه لحبيبته (جريتشن) تعاني من محنتها لوحدها. غير أن الألمان التواقين الى بطل قومي تجاهلوا فضائح فاوست ورفعوه في منتصف القرن التاسع عشر الى مرتبة الرجل الألماني المثالي الذي يتمتع بالعبقرية والعظمة الألمانيتين. فاوست الإنسان العملي صار ممثلاً للروحية الألمانية التي عرفت بالفاوستيّة Faustischفيما بعد.

توماس مان في روايته التي تدور أحداثها حول الملحن أدريان ليفركون، ربط بين مادة فاوست والموسيقى وبين الموسيقى والسياسة، يرى أيضاً أن الكثير من الطباع الألمانية فاوستية. غير أنه يرى في الطباع الفاوستية للألمان سبباً في (حرائق العالم) التي اندلعت سنة ,١٩٣٩ ففي خطاب له عن (ألمانيا والألمان) قال سنة ١٩٤٥: " إذا كان فاوست ممثلاً للروحية الألمانية فلابدّ أن يكون موسيقياً ؛ لأنّ المعنوية والصوفية أي الموسيقية هي علاقة الألمان بالعالم . إن علاقة أستاذ ذو نزعة شيطانية غير ماهرة وموجهة من الإدراك المتَعطرس، تجعل العالم في تأملٍ عميق. "

أما وجود فاوست حقيقةً في هذا العالم فلا يعلمه إلا القليل من الألمان. وتجدر الإشارة الى أن الفاوستيين قد احتفلوا سنة ١٩٨٠ في مسقط رأسه، مدينة (كنتنغن) بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على ميلاده. وبني له متحفاً الى جوار الكنيسة وأقيم له تمثال أمام دار البلدية يحمل إحدى مقولاته: " أردت أن أعرف كل الأسباب في السماوات والأرض. "

الشعراء المغنون الشعبيون في أفريقيا

جودت جالي

في كتابه (هكذا غنى القدماء) عام ١٩٨٧ أورد (بيير. م. مانغانغي) أغنية الحطاب التراثية التي غناها المغني المعاصر (بيير آكيندينجي) ومنها:

(أعرف فاسي /من تضحك/ ومن تزعل/ فاسي تاكل الحطب/ والشمس تاكل ظهري/ واني أكره... (الفراغ في الأصل)/ النهار طويل/بس آني أضحك/ النهار كلف/بس آني أغني/تالي الشهر قحط/ بس آني أغني/تالي الشهر قحط/ بس آني نشط/جيوبي فارغة/وأغني/أيامي صعبة/وأغني...) ثم تنتهي الأغنية باللازمة التي تبدأ بها مقاطع الأغنية (فاسي تتحدى الخشب/فاسي تاكل الحطب/فاسي تكره الحطب/ مثل ماأكره آني ال...).

كان المغنون هم الذاكرة اليومية الأجتماعية والسياسية والثقافية لأفريقيا. برز من خصب هذه الذاكرة شعراء مغنون أمثال فرانكو لومبا، جوزيف كابازيله، فرانكلين بوكوكا، فيلا كوتي، توري كوندا، ألفا بلوندي والناهج نهجه تيكين جاه فاكولي الذي غنى في ساحل العاج الأغنية السياسية الشهيرة (رئيس أسود) التي يقول فيها (شفنه كل أنواع الديمق-راطية/ هسه أحنه نريد الخبز-قراطية/ روحوا للسياسيين/اللي بأسمنه يفوزون/وعلينه يجورون/ كولولهم خل أساميه من مفكراتهم يمحون/ أفتهمنه أشجاي يسوون).

أن الأرتباط التقليدي بين الشعر والأغنية الأفريقية يضرب بجذوره عميقا في الزمن واللغة ويكفي على ذلك مثال أن مفردة (كالو) باللغة المالغاشية تعني شعر وأغنية معا، ويمكننا تتبع هذه الرابطة مع الزمن واللغة لنجد الشعر ذا الأيقاع الغنائي موجود حتى عند الشاعر سنغور حيث للموسيقى والطابع الشعبي نصيب وافر فهو مثلا يقول ((ماظل شي وأرتاح/ ومايبقى عندي غير الركص/ ماظل شي وأرتاح/ ومايبقى عندي غير أغني/وأطحن/ وأعرگ/وأغني/ وأركص...)). لابل أن تأثير الأغنية الشعبية أخذت لها حيزا في الرواية عند كتاب معاصرين مثل الكاتبة (ميشيل راكوتوسون) كما في روايتها (لالانا) الصادرة عام ,٢٠٠٢ من عصر الشفاهية وحتى أفلام عصر مابعد الحداثة (سنفصل في علاقة الموسيقى الشعبية بالأفلام الأفريقية في مثال مستقل) تجد الأيقاع، الكلام المغنى، الشعر المغنى، في كل نواحي الحياة الأفريقية. دخلت الأغنية الشعبية دورها الكفاحي بحركات الأستقلال وتبلورت في الخمسينيات مع جيل المغنية مريام ماكيبا، وتوالت أدوار أستحالتها في الأشكال والأدوات الموسيقية التي بدأت الأدوات الغربية تتصدرها، وأخذت وسائل التعبير والنشر والبث تعتمد بشكل متزايد على التقنيات الغربية ولكنها ظلت أفريقية روحا وشعبية تحديدا، ولكن مايهمنا هنا هو أرتباط الكلام بالأيقاع مباشرة في شخص الشاعر، وربما تجسدت هذه عند الكاتب والموسيقي الكاميروني فرانسيس بيبي في شعبيتها وكفاحية مابعد الأستقلال تماما في أغان- قصائد كأغنية (حياتي أغنية) التي يقول فيها ((يسألوني منين أجيت/أجاوبهم ماأدري/من زمان وآني أمشي/ عالدرب الوصلني ألكم/بس أدري أنولدت/من الحب بين الشمس والكاع/ ...../حياتي كلهه أغنيه/أغنيهه حته أكلكم/آني أحبكم/حياتي كلهه أغنيه/ أهديهه ألكم/...../أريد أمشي كربكم/عالكاع المليانه حكم/أريد أمشي كربكم وآخذكم/لكلب حلمي/ اللي ختلت بيه سري/.....)). النثر المكثف الأيقاعي القريب من روح الأسطورة كما عند (فالنتين موديمبه) والموسيقية النثرية التي تستلهم الجاز عند الكاتب الدرامي كوفي كواهولي، ومونغو بيتي، وعمانوئيل دونغولا، ويوجد أيضا الشعراء المغنون أمثال (زاو) الذي يصعد على خشبة المسرح ليمزج مابين التمثيل والأيقاع الموسيقي والشعر كما في قصيدة (مقاتل سابق) حيث يرتدي بدلة عسكرية مزينة بالنياشين ويلقي ألقاء يتنوع مابين السخرية من النزعة الحربية والتوعية والدعوة الى السلام. يرصع قصيدته بكلمات مبهمة ربما كانت كلمات مغرقة في المحلية ((مونو كوتوا مازونو شابا بوبو)) وغير ذلك ويشرع بحركات أستعلائية متكبرة تهريجية ((هسه راح أضربك على ظهرك بيدي/ متعرفني آني منو/آني العسكري المناضل/ ماأحتاج بعد (غالو) تتصدق عليه بتمن/ أنته ماتدري آني العلكت الحرب العالمية/ بالحرب العالمية ماكو رفيق / بالحرب العالمية ماكو رحمه ياصديق)) ويبدأ بتعداد كوارث الحرب على النحو التالي ((مرتك أتصير جنازة/أمك أتصير جنازة/جدك يصير أجنازة/ الأطفال جنازة/الملوك جنازة/الملكات جنازة...)) ثم يعدد الدول التي تنسفها الحرب ((بلادك تنسف/الأتحاد السوفييتي ينسف/الولايات المتحدة تنسف/فرنسا تنسف/أيطاليا تنسف/ المانيا تنسف/الكونغو تنسف/زائير تنسف/الأمم المتحدة تنسف.....)) وفي الأخير يعظ بالحب والتسامح قائلا ((أبذروا الحب مو الحرب ياأصدقائي/ خلوا الأيد بالأيد/ذبوا سلاحكم/ذبوا سلاحكم/خلوا الأيد بالأيد /أذا شفت فرنسي كوله بونجور/أذا شفت أنكليزي كوله كودمورننغ/أذا شفت ألماني..كوتن تاكه/أذا أسباني..بونيوس دياس/ أذا أيطالي بون جورو/اذا صيني.... هيهون/ ....)).